الصحابة رضوان الله عليهم

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–:

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)[١].

(الشرح)

جرت طريقة المصنفين في الاعتقاد، بعد بيان أصول الإيمان، وما يلتحق بذلك من كبار المسائل: كمسألة القرآن، ومسألة الإيمان، ونحوهما، أن يُفرِدوا فصلًا يتعلق بأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وأزواجه، وقرابته.

وسبب إدراج ذلك في متون الاعتقاد من جهتين:

الجهة الأولى: أن الصحابة الكرام هم الواسطة، بيننا، وبين نبينا، صلى الله عليه وسلم، في الدين، ولهذا كان الإمام أبو حَنِيفَةَ يَقُولُ: (إِذَا جَاءَ الكلام عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَإِذَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْتَارُ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَإِذَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ زَاحَمْنَاهُمْ)[٢]؛ فلا ريب أن الصحابة الكرام لهم مزية ومنزلة؛ إذ أن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه، صلى الله عليه وسلم، عن علم وحكمة، فشهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، وفهموا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، مراده، وهم أصفى الخلق قلوبًا، وأصدقهم ألسنة، وأقلهم تكلفًا، وهم النُزّاع من القبائل؛ ففيهم بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، فضلًا عن قبائل العرب؛ فجمع الله خيرة خلقه في ذلك الزمان إلى خيرة أنبيائه، صلى الله عليه وسلم، كي يكونوا أهل صحبته ونصرته، والجهاد في سبيله، والفقه في دينه.

الجهة الثانية: وقوع الطعن في الصحابة من بعض طوائف الضلال: كالخوارج والرافضة؛ فإن الخوارج طعنوا في أصحاب عليّ ومعاوية، والحكمين، وأصحاب الجمل وصفين، وكفروهم، وكذلك

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٣٦٧٣)، ومسلم: رقم (٢٥٤٠).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي: رقم (٤٠).

الروافض؛ زعموا أن عامة الصحابة ارتدوا عن الإسلام، حيث لم يبايعوا عليًا بالخلافة بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يستثنوا إلا أفرادًا يُعدون على الأصابع.

قَالَ الإِمامُ النّسائيُّ -رَحمهُ اللهُ-: (إنّما الإسلامُ كدارٍ لها بابٌ، فبابُ الإسلامِ الصّحابةُ؛ فَمنْ آذى الصّحابةَ إنّما أرادَ الإسلامَ؛ كَمنْ نَقرَ البابَ إنّما يُريدُ دخولَ الدّارِ قال: ومن أراد معاوية، فإنما أراد الصحابة)[١].

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام)[٢].

وقال أبو زرعة الرازي-رحمه الله-: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول، الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)[٣].

فمن هاتين الجهتين صار أهل العلم يُدخلون باب الصحابة في أبواب الاعتقاد، وإلا فإن مسألة الصحابة تلتحق بالحديث، ومصطلح الحديث، والتاريخ، والسير، والمغازي.

قوله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): عده أصلًا، والأصل: ما يُبنى عليه غيره.

قوله: (سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم): أصحاب: جمع صاحب أو صحابي، ذكرًا أو أنثى. والصحابي: من لقي النبي، صلى الله عليه وسلم، مؤمنًا به، في حياته، يقظة، ومات على ذلك، وهذا تعريف جامع مانع، وبيانه:

- (من لقي): يلزم منه ثبوت اللقيا، وهو أولى من قولنا (من رأى)، لأنه ربما كان أعمى. أو يقال: من اجتمع بالنبي، صلى الله عليه وسلم.

- (مؤمنًا به): فمن لقيه غير مؤمن به لم تثبت له صحبة، وهذا وقع لكثيرين لقيهم النبي صلى، الله عليه وسلم، في المواسم، ولم يستجيبوا له، ثم قُدّر أن أسلموا بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم.

- (في حياته): فلو قدر أنه لقيه بعد موته، لم تثبت له صحبة، وقد وقع هذا لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر؛ فقد قدم المدينة في اليوم الذي مات فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورآه مسجى.

- (يقظة)؛ فمن لقيه في المنام لا يعد صحابيًّا.

وهاهنا يُلغز بمسألة نادرة، فيقال: من هو النبي الصحابي؟

---

[١] أخرجه المزي في تهذيب الكمال: (١/٣٤٠).

[٢] المسائل والرسائل المرويه عن أحمد في العقيدة للأحمدي: (٢/٣٦٣).

[٣] أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية: (٩٧).

والجواب: هو عيسى، عليه السلام! وذلك أنك لو طبقت عليه حد الصحبة لوجدته منطبقًا؛ فقد لقي النبي، صلى الله عليه وسلم، في حال الحياة؛ فإن عيسى قد رفعه الله إليه؛ لم يمت: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: ١٥٧]، وقال في الآية الأخرى: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقد لقيه النبي، صلى الله عليه وسلم، في السماء الرابعة ليلة المعراج، فاجتمع بالنبي، صلى عليه وسلم، مؤمنًا به قطعًا، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران: ٨١]، بل قد بشر به بني إسرائيل قبل رفعه، كما قال تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦].

- (ومات على ذلك): فلو قدر أنه ارتد عن الإسلام، ومات على الردة، لزال عنه وصف الصحبة؛ لأنه يزول عنه ما هو أعظم منها، وهو وصف الإسلام، فإذا زال وصف الإسلام زال ما دونه، ولو قدر أنه ارتد ثم رجع إلى الإسلام، لعاد له وصف الصحبة، وقد وقع هذا لكثيرين منهم: طليحة بن خويلد الأسدي، الذي كان صحابيًّا، ثم ادعى النبوة، ثم منّ الله تعالى عليه وأسلم، وحسن إسلامه.

أما من آمن في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يلقه، فإنه يسمى: "مخضرمًا"، مثل النجاشي، رحمه الله، فقد كان ملكًا بأرض الحبشة، فأسلم، وآوى المهاجرين، وأهدى النبي، صلى الله عليه وسلم، الهدايا، لكنه لم يلقه؛ بسبب ما هو فيه من الملك. ومثل أويس القرني، رحمه الله، فقد كان مؤمنًا بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في حياته، ولم يمنعه من الهجرة إلا بره بأمه.

والصحابة كثيرون جدًّا، يكفي أن نعلم أن الذي حج معه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أكثر من أربعين ألفًا، ينطبق عليهم حد الصحبة.

ومراتب الصحبة متفاوتة، وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله-**ثلاث مراتب للصحبة**:

١. أعلاها: الملازمة التامة، كملازمة أبي بكر، وعمر، وخاصة أصحابه، فهؤلاء هم التلاد الأوائل، والأصحاب الذين ينطبق عليهم حد الصحبة انطباقًا تامًا.
٢. من لقي النبي، صلى الله عليه وسلم، في مجالس دون ذلك؛ لا تبلغ حد الملازمة.
٣. من رأى النبي، صلى الله عليه وسلم، لمرة، كالذي جرى في حجة الوداع لكثير من الناس.

فهم، رضوان الله عليهم، وإن شملهم جميعًا لفظ الصحبة، لكنهم يتفاوتون في مراتبهم، وفضائلهم، كما سيأتي، وقد قرر العلماء أن الصحابة كلهم عدول ثقات؛ ولهذا لا تضر جهالة الصحابي في سند الحديث، فقد زكاهم الله تعالى تزكية مطلقة فقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي

وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩]، وقال: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} [التوبة: ١٠٠]؛ فلا مطعن في أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا يُحتاَج للسؤال عن حالهم.

فالواجب تجاههم أمران:

- **سلامة القلوب**: من الغل، والحقد، والشحناء، وسوء الظن، وما أشبه ذلك.

- **سلامة الألسنة**: من اللعن، والسب، والقذف، والشتم، وما أشبه ذلك.

وقد استدل المصنف لتقرير هذا الأصل بآية وحديث:

- **أما الآية**: فقول الله عز وجل: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [الحشر: ١٠]، وذلك في سياق ذكر أطباق المؤمنين في سورة الحشر، فبدأ بالمهاجرين، وثنى بالأنصار، وثلّث بالتابعين لهم بإحسان، وذكر دعاءهم لهم، وسؤالهم سلامة قلوبهم تجاههم، وقد استنبط الإمام مالك -رحمه الله- من سياق هذه الآيات أن الرافضة لا يستحقون الفيء! فقد ذكر الله في أول هذه الآيات مصارف الفيء، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الحشر: ٧]، ثم قال بعد ذلك {لِلْفُقَرَاءِ} [الحشر: ٨] فجعل اللام للتمليك، يعني أن الفيء مستحق لفقراء المهاجرين، ومن عطف عليهم، ولما كان وصف التابعين لا ينطبق على الرافضة، بل يناقضه، لم يدخلوا في الاستحقاق؛ لأن في قلوبهم غلٌّ لمن سبقوا من المهاجرين والأنصار، وفي ألسنتهم بذاءة في الوقيعة بهم؛ حتى قيل: لو قيل لليهود من خير ملتكم؟ لقالوا: أصحاب موسى، ولو قيل للنصارى من خير ملتكم؟ لقالوا: أصحاب عيسى، ولو قيل للرافضة من شر ملتكم لقالوا: أصحاب محمد، والخوارج كذلك؛ فإن الخوارج قد كفروا عليًّا وأصحابه، وطلحة والزبير، وعائشة وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحاب صفين والحكمين، وليس شيء أعظم من التكفير! فكلا الفريقين في قلبه غل، وفي لسانه بذاء.

- **وأما الحديث**: فقول النبي، صلى الله عليه وسلم، في المتفق عليه: **(لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)**[1]: هذا هو القسم الذي

[1] أخرجه البخاري: رقم (٣٦٧٣)، ومسلم: رقم (٢٥٤٠).

إذا اجتهد النبي، صلى الله عليه وسلم، في تأكيد أمر من الأمور عبر به، و "أُحُد": جبل كبير معروف، شمال المدينة، متوحد بين الجبال، ولذلك سمي أحدًا، والمد: ربع الصاع، وهو قدر ما يملأ كفيّ الإنسان المعتدل الخلقة، والصاع أربعة أمداد، والنصيف: نصف المد، فيكون ثمن الصاع، والمعنى: لو استحال له جبل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله، لم يبلغ ثواب مد ينفقه أحد الصحابة.

فهذان دليلان على فضل الصحبة والصحابة، وذلك لسابقتهم في الهجرة، والنصرة، والجهاد في سبيل الله، والعلم والعبادة، وغير ذلك، من الفضائل التي اختصهم الله تعالى بها.

هذا هو الواجب تجاه الصحابة؛ سلامة القلوب والألسنة، ومن لازم ذلك: حصول المحبة والمودة والموالاة، ولهذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ)[1].

فضائل الصحابة ومراتبهم

قال المؤلف-رحمه الله تعالى-:

(وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوَ السَّنَّةُ أَوَ الإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْده وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ، وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[2]، وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ).

(الشرح)

قوله: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوَ السَّنَّةُ أَوَ الإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ):

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (١٧)، ومسلم: رقم (٧٤).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٠٠٧)، ومسلم: رقم (٢٤٩٤).

لما ذكر المصنف الواجب تجاه عموم الصحابة، نبّه على تفاضلهم، وأنهم ليسوا سواءًا؛ فإذا كان أنبياء الله، عليهم الصلاة والسلام، يتفاضلون؛ كما قال تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [البقرة: ٢٥٣]، فمن دونهم من باب أولى.

والتفاضل بين أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تارة يكون بالوصف، وتارة يكون بالعين.

فمن أوجه المفاضلة بالوصف:

أولًا: الإنفاق قبل الفتح والقتال: قال المصنف: (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)؛ قال الله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [الحديد: ١٠]، والمراد بالفتح هنا: صلح الحديبية، لأن الله تعالى سماه فتحًا؛ فقال: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١]، وقد كان صلح الحديبية منعطفًا مهمًا في السيرة النبوية؛ فصار كل ما بعده فتحًا للإسلام ونصرًا للمسلمين، وما قبله دوَل؛ فيوم بدر نصر، وأحد هزيمة، والأحزاب بين بين، فمن أنفق من قبل الفتح، وقاتل، أعظم درجة ممن أنفق من بعد، وقاتل، إذ كان الإنفاق من قبل، والقتال فيه تعريض للنفوس للتلف، والأموال للفناء، وبعد صلح الحديبية اطمأن الناس، وكثر الدخول في الإسلام، فلهذا ميّز الله بين الحالين.

ثانيًا: تفضيل المهاجرين على الأنصار: قال المصنف: (وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ): المهاجر: من انتقل من مكة، قبل فتحها، إلى المدينة، يريد الله ورسوله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[1]، وكذلك لو هاجر من غير مكة إلى المدينة، ولزم النبي، صلى الله عليه وسلم، فهو مهاجر، ولهذا كان النبي، صلى الله عليه وسلم، ينهى عن تعرب المهاجر، وهو أن يرجع إلى باديته؛ فللهجرة فضل عظيم، وقد نال المهاجرين عنت، ومشقة، وأذى في سبيل الله، كما قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الحشر: ٨]؛ كانوا ينفذون بجلودهم، ويدعون أموالهم، وبيوتهم، وأهليهم لله تعالى، كما وقع لصهيب الرومي، رضي الله عنه، حين هاجر، فلحقته قريش، وكان قد قدم عليهم فقيرًا؛ لا يملك شيئًا، فأغناه الله، فلما أدركوه أرادوا أن يردوه، فقال لهم: (يَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلًا ، وَايْمُ اللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِي فِي كِنَانَتِي ، ثُمَّ أَضْرِبَ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَقَيْنَتِي بِمَكَّةَ وَخَلَّيْتُمْ

[1] أخرجه البخاري: رقم (٥٤)، ومسلم: رقم (١٩٠٧).

سَبِيلِي " ، قَالُوا: نَعَمْ ، فَفَعَلَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: " رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى ، قَالَ: وَنَزَلَتْ {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ})[1].

فالمهاجرون أفضل من الأنصار، ومما يدل على فضلهم عليهم أن الله تعالى إذا ذكر الفريقين بدأ بالمهاجرين، ومن بدأ الله تعالى به فهو أفضل، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠]، وللأنصار، رضي الله عنهم، لهم فضل عظيم؛ فقد بذلوا أموالهم وأنفسهم في صيانة الدين، حتى إنه ما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة، ويكفيهم فضلًا ما وصفهم الله به بقوله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} [الحشر: ٩]، فهم يبذلون بسخاوة نفس، وطيب خاطر، لا يتبعونه بمنٍّ، ولا أذى، ولا إدلاء.

ثالثًا: تفضيل البدريين: قال المصنف: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ –وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ–: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"): هذه آية قد نسخت تلاوتها وبقي حكمها، والدليل على قرآنيتها قول النبي، صلى الله عليه وسلم، لعمر: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)[2]؛ فلهذا كانت "البدرية" وصفًا كريمًا، ومنقبة عظيمة لصاحبها.

رابعًا: تفضيل أصحاب بيعة الرضوان: قال المصنف: (وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم[3]؛ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ،كما في الآية، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ): قال الله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨]، وقد بايعوا النبي، صلى الله عليه وسلم، على الموت، فقد كان بينه وبين قريش سفارات، وكان من آخر هذه السفارات أن بعث عثمان، رضي الله عنه، فأشيع في معسكر المسلمين أن عثمان قد قتل، فدعا النبي، صلى الله عليه وسلم، أصحابه إلى بيعة الموت، فبايعوه؛ حتى إنه كان معهم منافق، يقال له الجد بن قيس، جعل يتخفى خلف بعيره؛ فلا شك أن هذه منقبة عظيمة.

---

[1] أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده: رقم (٦٧٩) واللفظ له، والحاكم في المستدرك: رقم (٥٧٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٠٠٧)، ومسلم: رقم (٢٤٩٤).

[3] أخرجه مسلم: رقم (٢٤٩٦).

قال ابن الجوزي، رحمه الله: (فصل في مراتب الصحابة: المهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار، وهم الذين هجروا أوطانهم، وخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينقسمون: فمنهم المهاجرون الأولون، واختلف فيهم؛ فروي عن أبي موسى وسعيد بن المسيب، قالا: من صلى إلى القبلتين فهو من المهاجرين الأولين. وروي عن الشعبي وابن سيرين أنهما قالا: المهاجرون الأولون من أدرك بيعة الرضوان، ثم الصحابة على سوابقهم وأعمالهم، وربّ متأخر في الإسلام سبق متقدمًا، كعمر رضي الله عنه. ورب غائب عن بدر وبيعة الرضوان سبق أكثر أهلها، كعثمان. والسبب الذي انقطعت به الهجرة فتح مكة، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: " لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ "[1])[2].

فتبين أن الفضل العام لا يقضي على الفضل الخاص، ولذلك ذكر المصنف، رحمه الله، بعض أوجه المفاضلة بالأعيان:

قوله: (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَالْعَشَرَةِ): قال صلى الله عليه وسلم: (عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ". قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ، مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ: " أَبُو الأَعْوَرِ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ)[3]؛ فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة على لسان محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فكانوا يمشون بين الناس، ويُعلم أنهم في الجنة، وأفضلهم على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، كما سيأتي، وأما بقيتهم فبين العلماء خلاف في تفضيل بعضهم على بعض؛ فمن شُهد له بالجنة، لا ريب، أنه أصاب خيرًا عظيمًا، وتبوأ منزلة سامية.

قوله: (وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ): لحصول البشارة له بالجنة، لما نزل قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢]؛ (فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ

---

[1] أخرجه البخاري: رقم: (٢٧٨٣)، ومسلم: رقم (١٨٦٤).

[2] تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ابن الجوزي: (١/ ٧١).

[3] أخرجه الترمذي: رقم (٣٧٤٨)، وقال الترمذي: وسمعت محمدًا، أي البخاري، قال: هو أصح من الحديث الأول؛ (٣٧٤٧)، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة: رقم (٨٥)، والحاكم في المستدرك: رقم (٥٨٥٨). وصححه الألباني، في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/١١٠).

أَنَسٍ: فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: (اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)[١].

قوله: (**وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ**): مثل عكاشة بن محصن الأسدي، رضي الله عنه؛ لما سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يدعو الله أن يجعله من السبعين ألفًا، الذين يدخلون الجنة بلا حساب، فقال: (أَنْتَ مِنْهُمْ)[٢].

ومثل الحسن والحسين، رضي الله عنهما، قال عنهما النبي، صلى الله عليه وسلم: (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شباب أهل الْجَنَّة)[٣].

ومثل بلال؛ فقد جاء في الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: (يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ). قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ)[٤].

ومثل آل ياسر، رضي الله عنهم؛ لما يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ»[٥]، وهم ياسر، وزوجه سمية، وابنه عمار.

ومثل عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رضي الله عنه، قَالَ: (مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ) ([٦])، فهؤلاء المعينون لا شك أنّ لهم فضل خاص.

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٣٦١٣) واللفظ له، ومسلم: رقم (١١٩).

[٢] أخرجه البخاري: رقم (٥٧٠٥)، ومسلم: رقم (٢٢٠).

[٣] أخرجه أحمد: رقم (١٠٩٩٩)، والترمذي: رقم (٣٧٦٨).

[٤] أخرجه البخاري: رقم (١١٤٩)، واللفظ له، ومسلم: رقم (٢٤٥٨).

[٥] أخرجه الطبراني في الأوسط: رقم (١٥٠٨)، والحاكم في المستدرك: رقم (٥٦٦٦)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة: (٩ / ٢٩٣).

[٦]) أخرجه البخاري: رقم (٣٨١٢) ومسلم: رقم (٢٤٨٣).